من أعلام المحدثين

الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطنى ٣٠٦ - ٣٨٥ ﻫ

بقلم فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد
استاذ الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة



نسبه :

هو على بن عمر بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله هكذا نسبه ابن السبكى فى طبقات الشافعية و ابن كثير فى البداية والنهاية وقبلهما الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد .

كنيته ونسبته :

كنيته أبو الحسن واشتهر بالدارقطنى نسبة إلى دار القطن محلة ببغداد .

ولادته :

ولد الدارقطني سنة ست وثلاثمائة .

ممن روى عنهم :

سمع الدارقطني أبا القاسم البغوي وأبا بكر بن أبي داود ويحيى بن صاعد وبدر

ابن الهيثم القاضى واحمد بن اسحاق بن البهلول وعبد الوهاب بن أبي حية والفضل ابن أحمد الزبيدى وأبا عمر محمد بن يوسف القاضى واحمد بن قاسم وأبا سعيد العدوى و يوسف بن يعقوب النيسابورى وأبا حامد بن هـــارون الحضرمى ومحمد بن نوح الجنديسابورى واحمد بن عيسى بن السكين البلدى واسماعيل بن العبـاس الوراق وابراهيم بن حماد القاضى وعبد الله بن محمد بن سعيد الجمال وأبا طالب أحـــمد ابن نصر وغيرهم.

ممن رووا عنه:

روى عنه أبو نعيم الاصبهـانى وأبو حامد الاسفرائينى الفقيه وأبو عبد الله الحاكم وعبد الغنى بن سعيد المصرى وتمـام الرازى وابو بكر البرقانى وأبو ذر الهروى وأبو محمد الخلال وأبو القاسم التنوخى وأبو طاهر بن عبد الرحيم الكاتب والقاضى أبو الطيب الطبرى و أبو الحسن العتيق وحمزة السهمى و أبو الغنـــائم بن المأمون وأبو الحسن بن المهتدى بالله وأبو محمد الجوهرى وغيرهم.

رحلته فى طلب الحديث:

قال الذهبي فى التذكرة: وارتحل فى كهولته إلى مصر والشام. وفى طبقات الشافعية لابن السبكى: روى عن خلق كثير ببغـــداد والكوفة والبصرة وواسط ورحل من الكوفة إلى الشام ومصر.

من ثناء الأئمة عليه:

وقد اتفقت كلمة أهل العلم على الثناء عليه و بيان عظم منزلته وخدمته التـامة للسنة رواية ودراية. قال فيه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد: وكان فريد عصره وقريع دهره ونسيج وحده وإمام وقته انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث

وأسماء الرجال وأحوال الرواة مع الصدق والأمانة والفقه والعدالة وقبول الشهادة وصحة الاعتقاد وسلامة المذهب والاضطلاع بعلوم سوى علم الحديث منها القراءات فإن له فيها كتاباً مختصراً موجزاً جمع الأصول فى أبواب عقدها أول الكتاب وسمعت بعض من يعتنى بعلوم القرآن يقول: لم يسبق أبو الحسن إلى طريقته التى سلكها فى عقد الأبواب المقدمة فى أول القراءات وصار القراء بعده يسلكون طريقته فى تصانيفهم ويحذون حذوه ومنها المعرفة بمذاهب الفقهاء فإن كتاب السنن الذى صنفه يدل على أنه كان ممن اعتنى بالفقه لأنه لا يقدر على جمع ما تضمنه ذلك الكتاب إلا من تقدمت معرفته بالاختلاف فى الأحكام. وبلغنى أنه درس فقه الشافعى على أبى سعيد الاصطخرى وقيل بل درس الفقه على صاحب لأبى سعيد وكتب الحديث عن أبى سعيد نفسه ومنها أيضا المعرفة بالأدب و الشعر وقيل انه كان يحفظ دواوين جماعة من الشعراء وسمعت حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق يقول: كان أبو الحسن الدارقطنى يحفظ ديوان السيد الحميرى فى جملة ما يحفظ من الشعر فنسب إلى التشيع لذلك.

وقال الذهبى فى تذكرة الحفاظ: الإمام شيخ الإسلام حافظ الزمان الحافظ الشهير، وقال ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ فى البداية والنهاية: الحافظ الكبير أستاذ هذه الصناعة قبله بمدة وبعده إلى زماننا هذا سمع الكثير وجمع وصنف وألف وأجاد وأفاد وأحسن النظر و التعليل والانتقاد والاعتقاد وكان فريد عصره ونسيج وحده وإمام دهره فى أسماء الرجال و صناعة التعليل والتعديل وحسن التصنيف والتأليف واتساع الرواية والاطلاع التام فى الرواية، له كتابه المشهور من أحسن المصنفات فى بابه لم يسبق إلى مثله ولا يلحق فى شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله وله كتاب العلل بين فيه الصواب من الدخل والمتصل من المرسل

والمنقطع والمفصل وكتاب الافراد الذى لا يفهمه فضلا عن أن ينظمـه إلا من هو من الحفاظ الأفراد والأئمة النقاد والجهابذة الجياد وله غير ذلك من المصنفات التى هى كالعقود فى الأجياد وكان من صغره موصوفاً بالحفظ الباهر والفهم الثاقب والبحر الزاخر جلس مرة فى مجلس اسماعيل الصفار وهو يملى على الناس الأحاديث والدارقطنى ينسخ فى جزء حديث فقال له بعض المحدثين فى أثناء المجلس: إن سماعك لا يصح وأنت تنسخ. فقـال الدارقطنى: فهمى للإملاء أحسن من فهمك وأحضر ثم قال له الرجل: أتحفظ كم أملى حديثا؟ فقال انه أملى ثمانية عشر حديثا إلى الآن والحديث الأول منها عن فلان عن فلان ثم ساقهـا كلها بأسانيدها وألفاظهـا لم يخرم منها شيئا، فتعجب الناس منه وقال: قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى: لم ير الدارقطنى مثـل نفسه. وقال ابن الجوزى: وقد اجتمع له مع معرفة الحديث العلم بالقراءات والنحو والفقه والشعر مع الإمامة والعـدالة وصحة العقيدة؛ وفى تذكرة الحفـاظ للذهبى قال الحاكم: صار الدارقطنى أوحد عصره فى الحفظ والفهم والورع وإماماً فى القـراء والنحويين وأقمت فى سنة سبع وستين أى وثلاثمـائة ببغداد أربعة أشهر وكثر اجتماعنـا فصادفته فوق ما وصف لى وسألته عن العلل والشيوخ وله مصنفات يطول ذكرها فأشهد أنه لم يخلف على أديم الأرض مثله.

وقال أبو ذر الهروى: قلت للحاكم هل رأيت مثل الدارقطنى فقـال: هو لم ير مثل نفسه فكيف أنا.

وكان عبد الغنى بن سعيد المصرى إذا ذكر الدارقطنى قال: أستـاذى. وفى تاريخ بغداد قال القـاضى أبو الطيب الطبرى: كان الدارقطنى أمير المؤمنين فى

الحديث وما رأيت حافظا ورد بغداد إلا مضى إليه وسلم له. يعنى فسلم له التقدمة فى الحفظ وعلو المنزلة فى العلم.

وقال عبد الغنى بن سعيد المصرى: أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله ﷺ ثلاثة: على بن المدينى فى وقته، وموسى بن هارون فى وقته، وعلى بن عمر الدارقطنى فى وقته.

وقال ابن العماد فى شذرات الذهب الحافظ الكبير شيخ الإسلام إليه النهاية فى معرفة الحديث وعلومه وكان يدعى فيها: أمير المؤمنين.

وقال العراقى فى طرح التثريب: وكان أحفظ أهل زمانه صنف السنن والعلل والمؤتلف والمختلف وغير ذلك.

وقال ابن خلكان فى وفيات الأعيان الحافظ المشهور كان عالما حافظا فقيها على مذهب الإمام الشافعى، وقال: وانفرد بالإمامة فى علم الحديث فى عصره ولم ينازعه فى ذلك أحد من نظرائه، وقال ابن السبكى فى طبقات الشافعية: الحافظ المشهور الاسم صاحب المصنفات إمام زمانه وسيد أهل عصره وشيخ أهل الحديث.

آثاره:

وقد ترك الدارقطنى بعده للأمة الاسلامية كتبا قيمة ألفها وأحسن فى تأليفها وقد أثنى كبار المحدثين وجهابذتهم على هذه الكتب فمنها كتاب العلل الذى قال فيه الذهبى فى تذكرة الحفاظ: وإذا شئت أن تبين براعة هذا الإمام فطالع العلل له فإنك تندهش ويطول تعجبك.

وقال ابن كثير فى البداية والنهاية: له كتابه المشهور — يعنى السنن — من أحسن المصنفات فى بابه لم يسبق إلى مثله ولا يلحق فى شكله إلا من استمد

من بحره وحمل كمله ، وله كتاب العلل بين فيه الصواب من الدخل والمتصل من المرسل والمنقطع والمعضل وكتـــاب الافراد الذى لا يفهمه فضلا عن أن ينظمه إلا من هو من الحفاظ الأفراد والأئمة النقاد والجهابذة الجياد وله غير ذلك من المصنفات التى هى كالعقود فى الأجياد.

ومن مؤلفاته الكثيرة النافعة :

١ - كتاب السنن وهو مطبوع.

٢ - كتاب العلل الذى نوه به الذهبى وابن كثير فى كلامهما المتقدم.

٣ - كتاب أحاديث الموطأ وذكر اتفاق الرواة عن مالك واختلافهم وزيادتهم ونقصهم وهو مطبوع. وهو أيضا مخطوط فى المكتبة الظـاهرية بدمشق ورقمه ٥٢٥ حديث.

٤ - كتاب الضعفاء والمتروكين ، وهو من مخطوطات الظـاهرية بدمشق فى فى المجموع رقم ١٢٤.

٥ - أخبار عمرو بن عبيد المعتزلى وكلامه فى القرآن واظهـار بدعته ، وهو من مخطوطات الظاهرية بدمشق فى المجموع رقم ١٠٦.

٦ - كتاب المؤتلف والمختلف يوجد منه الجزء الثانى فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ٨٤٣ فهرس التاريخ.

٧ - رجال البخارى ومسلم يوجد مخطوطا فى الآصفية بحيد أباد وصورته فى معهد المخطوطات بالقاهرة رقم ١٠٦٢ فهرس التاريخ.

٨ - كتاب الأفراد يوجد بعضه مخطوطـا فى ظـاهرية دمشق فى المجموع رقم ٣٥ و ٥٦

٩ ـ كتاب فى التصحيف قال عنه أبو عمرو بن الصلاح فى علوم الحديث ص ٢٥٢ : هذا فن جليل إنما ينهض بأعبائه الحذاق من الحفاظ والدراقطنى منهم وله فيه تصنيف مفيد .

١٠ ـ كتاب فى الذين رووا عن الشافعى الحديث قال أبو اسحاق الشيرازى فى كتابه طبقات الفقهاء ص ١٠٤ وأما من روى عنه الحديث فخلق كثير ذكرهم الدارقطنى فى جزءين .

١١ ـ كتاب الاستدراك على الصحيحين .

وفاته :

توفى الدارقطنى يوم الخميس لثمان خلون من ذى القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة أرخه بهذا ابن السبكى وقال : قال أبو نصر بن ما كولا : رأيت فى المنام كأنى أسأل عن حال الدارقطنى فى الآخرة فقيل لى : ذلك يدعى فى الجنة الإمام .

وقال ابن خلكان فى وفيات الأعيان توفى يوم الأربعاء لثمان خلون من ذى القعدة وقيل ذى الحجة سنة خمس و ثمانين وثلاثمائة ببغداد وصلى عليه الشيخ أبو حامد الاسفرائينى الفقيه المشهور ودفن قريبا من معروف الكرخى فى مقبرة باب حرب رحمه الله .

ممن ترجم له :

١ ـ ترجم للدارقطنى الحافظ الذهبى فى العبر ٣/٢٨ وفى تذكرة الحفاظ ٣/١٩٩

٢ ـ ابن كثير فى البداية والنهاية ١١/٣١٧

٣ ـ السمعانى فى الأنساب ٢١٧ مخطوط

٤ - الخطيب فى تاريخ بغداد ١٢/٣٤

٥ - ابن العماد فى شذرات الذهب ٣/١١٦

٦ - ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٢/٤٥٩

٧ - ابن الأثير فى اللباب ١/٤٠٤

٨ - ابن السبكى فى طبقات الشافعية ٢/٣١٠

٩ - الخطيب التبريزى فى الإكمال ٣/٨٠٥ آخر المشكاة.

١٠ - العراقى فى مقدمة طرح التثريب ١/٨٦

١١ - صديق حسن فى التاج المكلل ٨٢

١٢ - عمر رضا كحالة فى معجم المؤلفين ٧/١٥٧

